

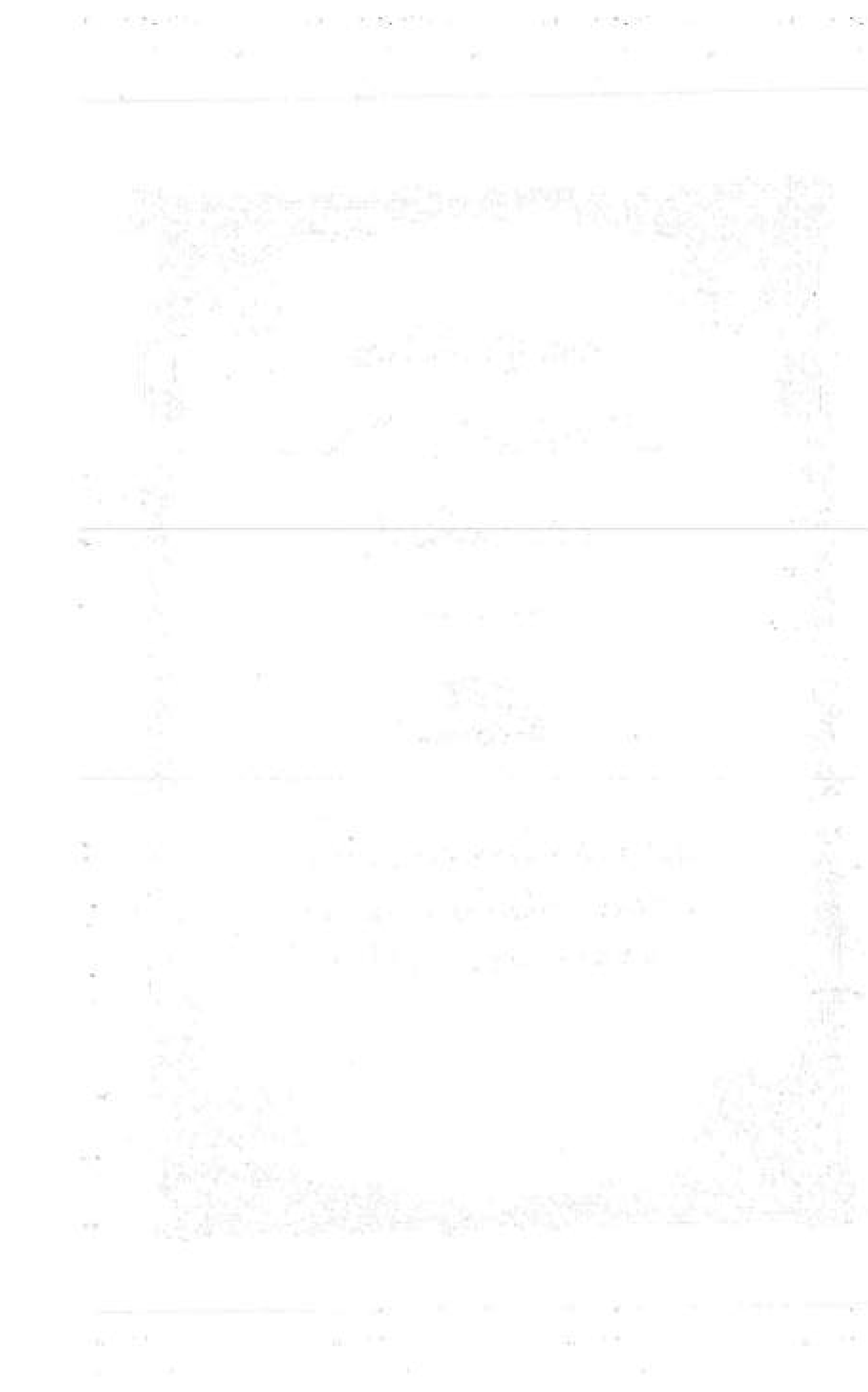
مواقف الإبتلاء بين القياس العقلى والثقة بالله



أ. د / جمال محمد سعيد عبد الغنى

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين

أما بعد

كتب الله سبحانه وتعالى على الإنسان بأن يكون مبتلا ، أي واقعا في إختبار دائم حتى يتبين الجيد من الرديء والصلب من الهين والمؤمن من الكافر والصبور من اليائس ،والإنسان يتجاذبه الأمل والأمن والرضا والحب ، والسكينة النفسية ،وهذه الأشياء نتاج لطريق طويل مملوء بالجهاد والمعاناة التي خلقه الله من أجلها قال تعالى { إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا }[١]

فالإنسان لا يخلوا من إبتلاءات متتابعة مثل الكوارث التي تصيبه والشدائد التي تحل بساحته ، فكم يموت له حبيب أو يمرض له بدن ، او يفقد منه مال ، أو يخفق له عمل إلى آخر ما يمتن الله على عباده من تلك النعم التي تظهر صلابة المؤمنين .

قال تعالى { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا }[٢]

(١) سورة الإنسان آية : ٢

(٢) سورة الكهف آية : ٧

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : " أخبر الله تعالى أنه جعل الدنيا دارا فانية مزينة بزينة زائلة ، وأنه جعلها دار اختبار لا دار قرار فقال : إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا " .... ثم أخبر الله تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وإنقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى{ وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا }أى وإنا لمصيروها بعد الزينة الى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا[1] وقد بين الله سبحانه وتعالى الحكمة الواضحة من وراء الإبتلاء لإظهار العمل الحسن من الرديء وذلك يتأتى بإختبار الحياة والموت ومدى حب الإنسان لأولهما وكراهيته لثانيهما ، رغم أنه سبحانه قدم الموت على الحياة لأهميته وأصله على الحياة

وقال تعالى{الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور}[2]

قال الطبري : وقوله الذى خلق الموت والحياة فأمات من شاء وما شاء ، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) يقول : ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع وإلى طلب رضاه أسرع[3]

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جزء ٣ ص٧٢

(٢) سورة الملك آية رقم ٢

(٣) الطبرى : أبو جعفر بن جرير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، طبعة مصطفى الباب الحلبى ، سنة ١٣٧٣ هجرية ج٢٩ص١

فالإنسان مختبر فى مدة تقبله للحقيقة الإلهية واليقين الثابت وهو ذكر الموت ومدى إستعداد الإنسان له وقد ورد ذكر الإبتلاء من الله عز وجل للإنسان فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، من أهم ذكر ذلك قول الله تعالى

{ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون }(١)

وقال تعالى { لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور }(٢)

وقال تعالى {أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون}(٣)

وقال تعالى{ الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٠

(١) سورة البقرة أيه ١٥٥ -١٥٧

(٢) سورة آل عمران : الآيه ١٨٦

(٣) سورة التوبة : أيه ٣١

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}[١].

وقال تعالى { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوكم أخباركم}[٢] وهذه سنة الله سبحانه وتعالى فى خلقه عامة ، بأن يختبرهم فى الشدة وفى الرخاء بالحرمان والعطاء ، بهذا وذلك يكون الإبتلاء ، ودرجات الإبتلاء متفاوتة بحسب مشيئة الله وإرادته بمن يكون مقربا إليه سبحانه دون غيره ، أرشد الى ذلك حديث النبى ﷺ الذى رواه الترمذى فى سننه فقال : حدثنا قتيبه ، اخبرنا شريك ، عن عاصم بن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد بن أى وقاص ، قال ، قلت يارسول الله ﷺ أى الناس أشد بلاء ؟ قال (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلبا أشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى الأرض وما عليه خطيئة[٣]

وروى ابن ماجه فى سننه قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا أبن ابى فديك حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال :دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك

---

(١) سورة العنكبوت : آيه رقم ١-٢

(٢) سورة محمد آيه رقم ٣١

(٣) الترمذى : سنن الترمذى الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٤ حققه ، وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ،ج٤ ص٢٨

فوضعت يدى عليه ، فوجدت حرة بين يدى فوق اللحاف • فقلت يا رسول الله ، ما أشدها عليك ؛ قال (إنا كذلك يضاعف لنا البلاء ويضاعف لنا الأجر) قلت : يارسول الله ، أى الناس أشد بلاء ؟ قال : (الأنبياء) قلت يا رسول الله ، ثم من؟ قال (ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها وأن كان أحدهم ليفرح البلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء[1]

من هذه النصوص المطهرة ، من القرآن والسنة النبوية نستخلص منها أن هناك إرتباطا وثيقا بين درجة وصول الإنسان الى مرتبة الإيمان والقرب من الله عز وجل وبين وقوعه فى الإختبار الربانى والإبتلاء الذى يمتحن به إيمانه ، وعلى قدر هذا الإيمان يكون الإبتلاء , وهذا واضح وجلى فى صدر سورة العنكبوت فى قول الله تعالى { الم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فيلعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }[2]

قال الشيخ المراغى فى تفسير هذه الآية : أيها الناس ، لا تظنوا أنى خلقتكم سدى ، بل خلقتكم لترقوا الى عالم أعظم من عالمكم ، وأرقى منه فى كل شئونه ، ولا يتم ذلك إلا بتكليفكم بعلم وعمل ، واختباركم من آن إلى آخر بإنزال النوازل والمصائب ، فى الأنفس والأموال والثمرات

---

(١) أبن ماجه : سنن إبن ماجه ، حققه محمد فؤاد عبد الباقى • طبعة عيسى الحلبى ج٢ص١٣٣٥

(٢) العنكبوت : أيه رقم ١-٣

الصريح تركت المنطقة التى تختلط فيها الأوصاف ، ويشتبه فيها الحكـم وفوضت لكل أمرىء أن يتفتى فيها قبله ، ويتحرى فيها طمأنينة نفسـه ، أخذا باالأحوط والأسلم .

رابعا فى مجال الآفاق

ترك الوحى للعقل أن يجول فى أفاق هذا الكون العريض ماشـاء ، صاعدا الى الأفلاك وهابط الى الأرض ، ومتأملا فى النفس فترك لـه أن يكتشف من ظواهر هذا الكون ما إستطاع وأن يسخر من قواه مـاقدر عليه فكل مافيها سخره الله لمنفعته .

خامسا فى الإختراع

ترك الوحى للعقل أن يتبكر ويخترع فى وسائل الحياة وأمور الدينا ماشاء مادام ملتزما حدود الحق والعدل

سادسـا فـى الإسـتفادة مـن تجـارب الأخريـن

ترك الوحى للعقل أن يستفيد من تجارب الآخرين وينتفع بتراث السابقين معارف اللاحقين[1] فهذه هى مناطق نفوذ العقل التى تركها الوحى للعقل بأن يجول فيها .

أما الوحى فمجالاته محدودة ومعروفة من خلال حديث جبريل عليه السلام حين جاء يعلم الأمة الاسلامية أمور دينهم ،ويسأل النبى ﷺ عن الإسـلام والإيمان والإحسان والنبى ﷺ يجيبه وجبريل عليه السلام يصدقه فعلمنـا

(١) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، طبعة مكتبة وهبة ، ٥٦ -٥٨

من هذا ان الوحى مناطه أركان الإسلام الخمسة وأن الإيمان بأركانه الستة والإحسان بعبادة الله عز وجل الخالصة لوجهه الكريم رغم أننا لا نراه إلا أنه يرانا ، ولا دخل للعقل فى هذه الأشياء السابقة الذكر ، إلى جانب مجال الحل والحرمة ، فى الإسلام ، فالذى يقوم بإحلال الحلال وتحريم الحرام هو الله سبحانه وتعالى ، وليس للعقل أى تدخل فى هذا المجال على الإطلاق ، على سبيل المثال فالأصل فى الأعراض والدماء هو حكم الحرمة ، حتى يأتى الشارع الحكيم ويحل لنا بعض الأعرض من النساء بالزواج أو بملك اليمن ، وأما الدماء فيحل لنا دم الحيوانات ، بالذبح ، الشرعى ، ودم البشر بمحاربتهم فى ميدان الجهاد ، اثناء الحرب ، أو قتل المرتد والقاتل عمدا والزانى الثيب ، فهذه أحوال يحل فيها سفك الدماء بشرع الله ، أما فى الملبس والمطعم والمشرب ، فالأصل فيها هو حكم الحل ، فكلها حلال حتى يأتى الشارع الحكيم وحرم بعضا منها ، فمن الملبس لبس الحرير للرجال ، ومن المطعم أكل لحم الخنزير ، ومن المشرب تحريم شرب الخمر ، فهذه أمثلة لمجالات الوحى ، دون تدخل العقل فيها ، ولاقدرة له البته ق فى أن يصل اليها أو أن يفتى فيها ، فهذه مناطق نفوذ الوحى كما أن للعقل مناطق نفوذه كماسبق ذكر ذلك

وبين العقل وما يحتويه من أقيسة منطقية مرتبة ، وبين الوحى وما يتضمنه من أمور غيبية لاعلم للإنسان بها فى أكثر الأحيان ولا

يستطيع الإنسان فهمها ولا يملك إلا أن يعطى ثقته الكاملة لصاحب الوحى عز وجل ،وبين القياس العقلى وبين التسليم لله والثقة فيه هناك كثير من المواقف الإختبارية من قبل الله عز وجل يقف الإنسان أمامها حائرا مندهشا ، عقله لا يفهمها لأنه لا يدرك مداها ومغزاها حقيقتها والمرء الفطن حينئذ لا يملك إلا أن يثق فى حكمة الله عز وجل لأنه سبحانه وتعالى يريد له الخير دائما ، أما الأغبياء فهم يقفون فى هذه المواقف الإختبارية بأقيستهم العقلية ، التى يترتب عليها وقوعهم فى التهلكة وفى غضب الله عز وجل ، وهذه المواقف الإبتلائية محدودة ولها تعلقات مختلفة ومتنوعة ، فهناك مواقف إبتلاء ، متعلقة بالتكاليف (الأمر والنهى) ومواقف إبتلاء متعلقة بالشدائد ، ومواقف إبتلاء متعلقة بالخوارق ، ومواقف إبتلاء متعلقة بالثقة بالله مسبوقة بقليل من الجدل العقلى ، وهناك مواقف إبتلاء إختيارية يختارها العبد بأن يكون فيها عندما يصل الى درجة إحساسه بقربه من الله عز وجل ، وأخيرا هناك مواقف إبتلاء متعلقة بالقياس العقلى فقط ، وهذه المواقف وقع فيها المعاندون من الطواغيت الذين إغتروا بعقولهم فأوقعوا أنفسهم فى دائرة الكفر والشرك وهذا ما سوف نوضحه بالتفصيل فى موضعه بإذن الله تعالى

أما هجوم الوجودية على العقل وإستحبابهم فى الثقة الإلهية التى فهموها فهما خاطئا يخالف ما نحونا اليه تماما ، حيث أن كيركجارد قد نحا الى تسمية الثقة بالله بالسقوط فى الهاوية التى يترتب عليها إحساس

بالخوف والقلق تحت مسمى المفارقة المطلقة ، أما ثقة المرء في فهمنا يترتب عليه إحساس المرء بالطمأنينة ، السكينة بالله عز وجل لأنه ألقى كل ثقته في حكمة الله عز وجل رغم أن الموقف يتطلب الوقوف اليه بقليل من الدهشة العقلية إلا أن الثقة بالله تحمل المرء على إيمان يقيني راسخ في حكمة الله ﷻ "حاول كيركجارد أن يعالج العقيدة من منظور فردى مشخص ، وأن يفهم ماذا يعنيه الإيمان في ضوء التجربة الشخصية وقام في هذا الصدد بتحليل شخصيتين من شخصيات الكتاب المقدس هما (أيوب) و(إبراهيم) ووصل من هذا التحليل الى رؤية أكثر عمقا للإيمان إنتهت الى أن الايمان ليس نوعا من المواساة السهلة بل هو ضرب من ضروب الخوف والقلق ، وتمكن به من أن يزيل النقاب عن فكرتين محورتين صبغتا تفكيره الوجودى وهما فكرة (المفارقة المطلقة) وفكرة السقوط في الهاوية التي ترتبط بالفكرة الأولى تمام الإرتباط[١]

هذه الأراء لدى كيركجارد تعبر عن الإيمان النصراني اللامعقول فالإيمان في نظره هو الحقيقة في أعلى صورها بعدم اليقين الموضوعي لأن الإيمان لا معقول" تبلغ الذاتية أقصى مداها في العاطفة ، والمسيحية هي المفارقة ، والمفارقة والعاطفة تتفقان معا إتفاقا تاما والمفارقة تتمشى مع ما يوجد في أعلى مراتب الوجود[٢]

فهذه فكرة النصارى عن الإيمان لديهم ، وفهم الوجودية لرموز كتابهم المقدس بأن جعلوا علاقة الإنسان بربه هي علاقة المتناهي باللامتناهي علاقة قلق وإضطراب إتصال وصراع نفسي بين العبد وربه

---

(١) على عبد المعطى محمد : قضايا الفلسفة العامة ومباحثها : دار المعرفة الجامعية ، بالاسكندرية ، ١٩٨٤ص٢٢٧

(٢) المرجع السابق: ص٢٣٢

أما نحن فقد ضرب القرآن الكريم أمثلة واقعيـــة ورمـــوز لشـــخصيات حقيقية قمة فى الثبات الإيمانى والثقة بالله عز وجل، والسكينة القلبية التى تميزوا بها بوضعهم فى مواقف إبتلاء ربـــانى أثبتـــوا فيـــها جدارتـــهم وإستحقاقهم بأن يكونوا مؤمنين بمعنى الكلمة وسوف نضـــــرب بعـــض الامثلة التى تعبر عن ذلك بهذا البحث ٠

تمهيد

فى هذا التمهيد أحببت أن أقف على حقيقة ثلاثة مسميات حتى تتضح صورة عنوان البحث بالوقوف على كافة معانيه . الخاصة بمعنى الإبتلاء ، وحقيقة القياس العقلى ، وحقيقة مسمى الثقة بالله ،وهى على النحو الآتى .

اولا : معنى حقيقة الابتلاء

أجمعت كتب المعاجم اللغوية على أن الإبتلاء يعنى الإختبار والإمتحان أو التجريب والتعريف " يقال أن بلاه أى أختبره وبلى فى الأمر أى إجتهد فيه وبالغ وبلى فلانا أى إختبره . وإبتلاه أى جربه وعرفه(١)

وجاء فى لسان العرب بلوت الرجل بلوا وبلاء وإبتليته : أختبرته ، وبلاه يبلوه بولا أذا جربه وأختبره ، وأبلى بمعنى أخبر ، وإبتلاه الله أى امتحنه والاسم ، البلوى والبولة والبلية والبلاء ، وبلى بالشىء بلاء وإبتلى(٢)

---

(١) المعجم الوجيز : طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٩٠ ص٦٢

(٢) أبن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان ، ج١٤ ص٨٣

وإبتلى الرجل ببلاء فهو فى محنة والمحنة هى التى يمتحن بها الإنسان من بلية ، ومحنه من باب قطع ، وإمتحنه إختبره والإسم : المحنة[١]

والمحنة لا يشترط أن تكون جديدة وجها واحدا للبلاء ، بل أن هناك وجها آخر للبلاء وهو المنحة ، وعلى ذلك فالبلاء من الممكن أن يكون إمتحان بالخير أو بالشر

قال الفيروزابادى: " وإبتليته : أختبرته وإبتليت الرجل فأبلانى : أستخبرته فأخبرنى ، وإمتحنته واختبرته ، كبلوته بلوا وبلاء ، والإسم البلوى والبية والبلوة بالكسر ، والبلاء : الغم كانه يبلى الجسم ، والتكليف بلاء لأنه شاق على البدن ، أو لأنه إختبار والبلاء يكون منحة ويكون محنة[٢] والمنحة تستلزم الشكر ، أما المحنة فتستلزم الصبر ، وكلاهما بلاء وإختبار من الله ﷻ قال الراغب الأصفهانى : أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين[٣]

---

(١) محمد بن ابى بكر الرازى : مختار الصحاح : ترتيب محمود خاطر طبعة دار المعارف ص٦١٧

(٢) الفيروزابادى : مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ، دار الفكر العبى بيروت لبنان ج٤ ص٣٠٥

(٣) الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن حققه : محمد سيد كيلانى : طبعة مصطفى الباب الحلبى ، ص٦١

وهناك أمثلة على ذلك من القرآن الكريم مثل قوله تعالى { ونبلوكم بالشر والخير فتنة }(١) وقوله تعالى {وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم }(٢) راجع الى الأمرين : الى المحنة التى فى قوله تعالى { يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم }(٣) والى المنحة التى أنجاهم أى نجاهم الله تعالى من فرعون وعمله والأولى إستلزمت الصبر والأخيرة أوجبت الشكر ،

وخلاصة ماسبق ذكره أن الإبتلاء يعنى الإختبار والإمتحان والله عز وجل قدر لهذا الإنسان بأن يبتليه منذ أن خلقه قال تعالى { إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا }(٤) فجعل له سمعا وبصرا يدرك بهما المواقف التى يتعرض فيها للإبتلاء بالخير أو بالشر والإنسان لا يعرف مدى حقيقة وماهية الخير من الشر ، ما ينفعه مما لا ينفعه لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، والإنسان يكره الشيء ويكون فيه خيرا ، ويحب الشيء ويكون فيها شرا له قال تعالى { وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون }(٥)

(١) سورة الأنبياء أية رقم ٣٥

(٢) سورة البقرة : أية رقم ٤١

(٣) سورة البرقة أيه ٤٩

(٤) سورة الإنسان : أيه رقم ٢

(٥) سورة البقرة أيه رقم ٢١٦

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو هل ينفع العقل بأقيسته المنطقية بأن يكون حكما عدلا منصفا فى المواقف الإبتلائية من قبل الله ﷻ ؟هذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث لأننى لو قلت إن العقل لا ينفع حكما فإننى أصادر على ما سأذكره من أمثلة ، لكن أحب أن أذكر هناك مراتب إيمانية ودرجات قرب من الله عز وجل تتوقف على مدى سكينة القلوب وثقتها بالله فيما يبتليها من أمور

ثانيا معنى حقيقة القياس

للقياس تعاريف مختلفة بحسب إشتغال كل فن به لكن المضمون فى الأغلب واحد ففى اللغة عرف القياس بأنه : تقدير شيء بشيء آخر ، كما قدر طول القماش مثلا بالمتر[١]

وعرفه المناطقة بأنه (قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر)[٢]

وهذا تعريف إصطلاحى لأهل هذا الفن

أما علماء الأصول فقد عرفوه بأنه بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه بالحاقة بأمر معلوم حكمه بالنص عليه فى الكتاب أو السنة

(١) محمد شمس الدين ابراهيم سالم : تيسير القواعد المنطقية (شرح الرسالة الشمسية) الطبعة الرابعة ١٩٨٦ ص٢٠٢

(٢) قطب الدين محمود بن محمد الرازى المتوفى سنة ٧٦٦ تحرير القواعد المنطقية : طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٤٨ ص١٣٨

ويعرف علماء الفروع بأنه إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه للإشتراك بينهما فى علة الحكم • وبالقياس ترد الأحكام التى يجتهد فيها المجتهد الى الكتاب السنة لأن الحكم الشرعى يكون نصا أو حملا على نص بطريق القياس[1]

والمشتغل بالقياس من الممكن أن يترك أحد مقدمتيه مثل الكبرى وذلك للتلبيس حتى يبقى الكذب خفيا فيه مثل " هذا الشخص فى القلعة خائن سيسلم القلعة لأني رأيته يتكلم مع العدو وتمام القياس أن تضيف اليه أن كل من يتكلم مع العدو فهو خائن ،وهذا يتكلم معه فهو إذن خائن ولكن لو صرحت بالكبرى ظهر موضع الكذب ،ولم يسلم أن كل من يتكلم مع العدو فهو خائن •

أما ترك المقدمة الصغرى فمثال قولك أتق مكيدة هذا فيقال لم فنقول لأن الحساد يكايدون فتترك الصغرى وهو قولك هذا حاسد وذلك إنما يكون عند ظهور الحسد منه وهو كقولك هذا يقطع لأن السارق يقطع وتترك الصغرى ويحسن ذلك إذا إشتهر بالسرقة عند المخاطب وعلى هذا أكثر مخاطبات الفقهاء لاسيما فى كتب المذهب وذلك حذرا من التطويل[2]

(١) حسن عبد الحميد عويضة : النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة لدراسة مقارنة : مطبعة الأمانة ١٩٧٩ ص٢٣

(٢) أبى حامد محمد الغزالى : معيار العلم فى فن المنطق ، مكتبة الجندى ١٩٧٣ ص١٥٠

وقد تترك النتيجة فى الأقيسة المركبة لوضوح النتيجة ويذكر من كل قياس مقدمة واحدة ، وأيضا قد تترك النتيجة فى المخاطبات "إما لظهورها وإما لأنها لا تقصد للإحتجاج بل تذكر المقدمات تعريفا لها فى أنفسها إعتمادا على قبول المخاطب فقد قال النبىﷺ (يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على ما مات عليه) وهاتان مقدمتان نتيجتهما أن المرء يحشر على ما عاش عليه فحالة الحياة هى الحد الأصغر وحالة الممات هى الحد الأوسط ومهما ساوت حالة الحشر حالة الموت وساوت حالة الموت حالة الحياة فقد ساوت حالة الحشر حالة الحياة[1]

والمقصود مما سبق ذكره أن صور الأقيسة السابقة التى يترك فيها أحد مقدمتى القياس أو النتيجة كل ذلك راجع الى للتيسير ولوضوح النتائج فى ذهن المخاطب . فلا ينبغى أن يغفل الإنسان عنها بالنظر الى الصور التى صيغت عليها ، بل ينبغى أن لا يلاحظ إلا الحقائق المعقولة دون الألفاظ المذكورة ، وعلى كل فإن القياس قد تمد عليه وإستخدم منذ القدم خصوصا فى الأحكام الشرعية . فإعتبر القياس مصدر من مصادر التشريع بعد حجية القرآن والسنة والإجماع ، " فقد انعقد اجماع الصحابة على ثبوت القياس فى الاحكام فنجد أن أبا بكر الصديق أعطى الجد حكم الأب فى المراث بإعتباره ابا لأن فيه معنى الأبوة ، وابن عباس قاس الجد على إبن الابن ، وعمر بن الخطاب أمر أبا موسى الأشعرى وقال له " أعرف الأشياء والنظائر ثم قس الأمور عند ذلك[2]

(١) المرجع السابق ص ١٥٢

(٢) حسن عبد الحميد عويضة ، ص٢٣

أقسام القياس

قد قسم العلماء القياس الى قسمين :

أ- القياس الإستثنائى : وهى ماذكرت فيه النتيجة أو نقيضها بمادتها وصورتها مثل : كلما كان هذا جسما كان متحيزا لكنه جسم، وهو متحيز فالنتيجة وهى قولنا (هو (متحيز) مذكورة فى القياس بصورتها ومادتها ، ولكنها خالية من الحكم ، ولذلك لا يصح الإعتراض لأن فيه مصادرة على المطلوب ، وهى أخذ الدعوى فى الدليل . ومثل كلما كان هذا جسما كان متحيزا ، لكنه ليس بمتحيز ، وهو ليس بجسم ، وهذه النتيجة قد ذكر فى القياس نقيضها بالفعل وهو (هذاجسم) وسمى هذا القياس استثنائيا لذكر أداة الاستثناء فيه وهى لكن ،

٢- القياس الإقترانى : وهو الذى لم تذكر فيه النتيجة ولا نقيضها بالفعل مثل العدل فضيلة ، وكل فضيلة يجب التحلى بها ، ينتج العدل يجب التحلى ، فهذه النتيجة لم تذكر فى القياس بصورتها وهيئتها ، وإنما ذكرت فقط بمادتها .

وسمى هذا القياس إقترانيا لأقتران الحدود فيه ، أو لذكر أداة الاقتران فيه وهى الواو(١)

وعلى ذلك فإن القياس الإستثنائى يذكر بمادته وصورته والنتيجة ضمنية ولا تأتى بجديد أما القياس الإقترانى فالنتيجة غير موجودة فى مقدماته إلا بمادتها ، لكن صورتها غير موجودة . والقياس الأقترانى

---

(١) عوض الله حجازى : المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم طبعة دار الهدى للطباعة ١٩٨٥ ص ١٤٥

يكون بمقدمتين بينهما حد أوسط مشترك " لأن المطلوب يعلم بعد ما هـو مجهول بشيء غيره ، وذلك الشيء لابد من أن تكون لـــه نسـبة الـى المطلوب بسببها يحصل العلم وتلك النسبة إمـــا أن تكـون الـى كليـة المطلوب أو جزء مجزء منه فإن كانت الى كليته فإنما تكون بأن يلـــزم المطلوب وضع شيء أو رفعه وهذا هو القياس الإستثنائى ، وأن كـانت النسبة الى جزء مجزء من المطلوب فلابد من أن تكون تلك النسبة بحيث توقع بين جز أى المطلوب نسبة هى المطلوبة فى الحكم، وإنمـا يكـون ذلك بأن يوجد شيء واحد جامع بين الطرفين بـــأن يوجـد لأحدهمـا ويوجد الآخر له أو يسلب عنه ، أو يوجد لأحدهما ويسلب عن الآخـر أو يوجد له الطرفان أو يوجد له أحدهما ويسلب عنه الآخر وهــذه اهـى الأشكال الثلاثة الحملية الملتئمة من مقدمتين[1]

---

(١) زين الدين عمر بن سهلان الساوى تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى : البصائر النصيرية فى علم المنطق :مطبعة محمد على صبيح ١٩١-١٩٢

أنواع القياس

بعض علماء الأصول قد نوع القياس الى قياس شمول وقياس تمثيل فقياس الشمول عرفوه بأنه " إنتقال الذهن من المعين الى المعنى العام المشترك الكلى المتناول له ولغيره والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلى بأن ينتقل من ذلك الكلى اللازم الى الملزوم الأول ، وهو المعين فهو إنتقال من خاص الى عام ، ثم إنتقال من ذلك العام الى الخاص من جزئى الى كلى ، ثم من ذلك الكلى الى الجزئى الأول فيحكم بذلك الكلى ولهذا كان الدليل أخص من مدلوله الذى هو الحكم فإنه يلزم من وجود الدليل وجود الحكم ولا يكون أخص من لازمه بل أعم منه أو مساوية له ، وهو المعنى بكونه أعم ، والمدلول الذى هو محل الحكم وهو المحكوم عليه المخبر عنه الموصوف الموضوع إما من الدليل أو مساويه ، فيطلق عليه القول بأنه أخص منه لا يكون أعم من الدليل إذ لو كان أعم منه لم يكن الدليل لازما له فلا يعلم ثبوت الحكم له فل يكون الدليل دليلا،

وأما قياس التمثيل فهو إنتقال الذهن من حكم معين الى حكم معين لأشتراكهما فى ذلك المعنى المشترك الكلى ، لأن ذلك الحكم يلزم المشترك الكلى ، ثم العلم بذلك اللزوم لابد له من سبب ، فهو يتصور المعنى أولا ، وهما الأصل والفرع لازمهما وهو المشترك ، ثم الى لازم اللازم وهو الحكم ، ولابد أن يعرف أن الحكم لازم المشترك وهو

الذى يسمى هناك قضية كبرى ثم ينتقل من إثبات هذا اللازم الأول المعين فهذا هو هذا فى الحقيقة ، وإنما يختلفان فى تصوير الدليل ونظمه وإلا فالحقيقة التى بها صار دليلا ، وهو أنه مستلزم للمدلول حقيقة واحدة ومن ظلم هؤلاء وجهلهم أن يضربون المثل فى القياس بقول القائل : السماء مؤلفة فتكون محدثة قياسا على الإنسان ، ثم يوردون على هذا القياس ما يختص به ــ فإنه لو قيل السماء مؤلفة وكل مؤلف محدث لو رد عليه هذه الأسئلة وزيادة[١]

ورغم تباين كل من القياس الشمولى والتمثيلى إلا أن العلماء قد تنازعوا فيهما فقالت طائفة من أهل الأصول هو حقيقة فى قياس التمثيل مجاز فى قياس الشمول كأبى حامد الغزالى ، وقالت طائفة بل حقيقة فىقياس الشمول مجاز فى قياس التمثيل كأبن حزم وقال جمهور العلماء بل هو حقيقة فيهما والقياس العقلى يتناولهما جميعا وهذا قول أكثر من تكلم فى أصول الدين وأصول الفقه[٢]

وممن ناصر الرأى الأول فى أن قياس التمثيل أبلغ من قياس الشمول هو ابن تيمية حيث قال فى نقض المنطق " الحقيقة أن قياس التمثيل أبلغ فى إفادة العلم واليقين من قياس وأن كان علم قياس الشمول أكثر فذاك أكبر ؛ فقياس التمثيل فى القياس العقلى كالبصر فى العلم

(١) جلال الدين السيوطى : صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص٢٣٥

(٢) المرجع السابق : ص٢٢٣

الحسى ، فقياس الشمول : كالسمع فى العلم الحسى ، ولا ريب ان البصر أعظم وأكمل ، والسمع أوسع وأشمل ، فقياس التمثيل ، بمنزلة البصر ، كما قيل من قاس ما يره بما رأى وقياس الشمول يشابه السمع من جهة العموم(١)

وعلى كل فإن أهل التخصص قد إتخذ القياس مصدرا أساسيا من مصادر التشريع الإسلامى لكى يستخلصوا ويستخرجوا الأحكام التى لم يرد ذكرها صراحة فى الأشياء وذلك تأتى بقراءة القرآن الكريم واستعراضها وكذلك أحاديث التشريع فقد وجدوا فيها الكثير من الاحكام وفطنوا أن الأحكام مرتبطة بعلتها فتدور معها وجودا وعدما، وتذكروا أن النبى ﷺ كان إذا سئل عن حكم واقعة فأنه ،كان ﷺ يكتفى ببيان الحكم وأخرى كان يذكر للسائل نظير المسئول عنه ، ليقف السائل على الحكم ثم يقرره له ، وهذا بيان منه ﷺ الى ان القياس مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ، إلا أنه رتب فى المرتبة الرابعة بعد القرآن والسنة والإجماع ، وتقدم الإجماع على القياس رغم عدم وجودة فى حياة النبى ﷺ لأن التشريع كان مستمرا ولم يحسم ويتحدد إلا بعد وفاة النبى ﷺ فرتب هكذا الإجماع ثم القياس بعد القرآن والسنة ، هذه الأنواع من الأقيسة ، هى للذين تخصصوا فى مجال إستخلاص الأحكام الشرعية من

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية : نقض المنطق ، صححه محمد حامد الفقى ، مكتبة السنة المحمدية ١٩٥١ ص١٦٦

مصادرها ، لكن الانسان العادى البسيط مزود بقياس ربـــانى يساعده منطق الهى فطرى ، يحكم بها على الأشياء فى مواقفـــه العديـــدة التـــى يواجهها ، مستندا بتجاربه السابقة والسالفة أو التى ســـمعها أو حدثـــت لغيره بأن تكون نموذجا يقاس عليه ما يحدث له الآن مثل علمه بأن الماء مغرق ومميت إذا غمست رأس الإنسان فيه فيقاس على ذلـــك إذا قـــابل موقف مشابه لذلك وكذلك أحكام عديدة فطرية مثل النار المحرقـــة أو أن مقابلة العدو وحاصره بينه وبين البحر مدركة بالهلاك الى غير ذلك مـــن الأقيسة العقلية الفطرية للإنسان العادى البسيط والبعيـــد عـــن دهـــاليز التخصص أما فى مجال التخصص فإن العلماء قـــد إختلفوافـــى حجيـــة القياس وهذا الإختلاف على النحو الآتى ،

موقف العلماء من حجية القياس

يرجع الخلاف فى حجية القياس الى أمرين ، أولهما التعبد به مـــن جهة العقل وثانيهما إنعكاس ذلك شرعا ، أما بالنسبة للنقطة الأولى وهـــو التعبد بالقياس عقلا ففيه ثلاثة آراء

الرأى الأول : أنه محال ، وهو مذهب الشيعة الإمامية والنظام من المعتزلة .

المذهب الثالث ، أنه يعمل به في صورتين ،

الأولى : أن تكون علة الأصل منصوصة ، إما بصريح اللفظ أو إيمائه

الثانية : ان يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل، وهو مذهب القاساني والنهرواني وداود والأصفهاني ، ومذهب الشوكاني كما صرح به اكثر من مرة ٠

وخلاصة هذه الآراء كلها أنها ترجع – **في الجملة– الى إتجاهين :**

الاتجاه الأول : أن القياس حجة شرعية ، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وهذا ما عليه جمهور المسلمين ، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ٠

الإتجاه الثاني : أن القياس ليس بحجة ، وهو مذهب الشيعة والنظام وأهل الظاهر ومن سار على منهجهم [١]

وحتى الذين أنكروا حجية القياس في مجال التخصص (المسائل الشرعية) فإنهم لا يستطيعون إنكاره أو تجاهله في المواقف اليومية المعاشة ، لأن تجارب الإنسان ومواقفه السابقة التي تعلم منها أحكام معينة يقيس بها على ما يوجهه من مواقف جديدة وبذلك تكون الخبرة لها دورا هاما في مواجهة الإنسان لأحداث يومياته٠

(١) المرجع السابق ص ٩٤

الرأى الثانى : أنـــه واجـــب .

الرأى الثالث : أنه جائز وهو رأى الأئمة الأربعة وأكثر الفقهاء والمتكلمين ، وبه قال السلف من الصحابة والتابعين(١)

أما التعبد بالقياس مــن جهــة الشــرع ففيــه آراء كثــيرة منــها مذهب الجمهور : وهو أن التعبد بالقياس جائز عقـــلا ، ويجـب العمل به شرعا ، هل ثبوت العمل به بدليل السمع والعقل معــا ، أم بالسمع فقط ، وهل دليله من السمع قطعي أم ظنى ؟ خـــلاف بيـن العلماء يراجع فى مظانة .

قال إبن السبكى : القياس من الدين ، لأنه مأمور به لقوله تعالى فى سورة الحشر ،

{ فاعتبروا يا أولى الأبصار }

قال الغزالى : والذى ذهب اليه الصحابة - رضـــى الله عنـهم - بأجمعهم وجماهير الفقهاء والمتكلمين بعدهم ، رحمهم الله وقوع التعبد به شرعا

المذهب الثاني : أن القياس جائز عقلا ، ولكنه لم يرد فى الشرع ما يدل على وجوب العمل به وهو مذهب أهل الظاهر

قال إبن حزم " ذهب أهل الظاهر الى ابطال القول بالقياس جملــة ، وهو قولنا الذى ندين الله به والقول بالعلل باطل وللشوكانى ميل الى هـذا الرأي ، وان صرح بأنه يعمل به فى صورتين كالمذهب الثالث الآتى

(١) شعبان محمد اسماعيل : الامام الشوكانى ومنهجه فى أصول الفقه طبعة دار الثقافة ، ١٩٨٩ ص٩٤

حقيقة مفهوم الثقة (الثقة بالله)

وردت كلمة الثقة في المعاجم اللغوية في باب وثق ، وهي وثق ، الثقة ، مصدر قولك وثق به يثق ، بالكسر فيهما ، وثاقة وثقة ائتمنه ، وأنا واثق به وهو موثوق به وهي موثوق بها وهم موثوق بها وهم موثوق بها وهم موثوق بهم ، فأما قوله ، الى غير موثوق من الأرض تذهب .

فإنه أراد الى غير موثوق به ، فحذف حرف الجر فارتفع الضمير فاستتر في اسم المفعول ، ورجل ثقة وكذلك الإثنان والجمع ، وقد يجمع على ثقات وكذلك الاثنان والجمع ، وقد يجمع على ثقات ويقال : فلان ثقة ، وهي ثقة وهم ثقة ويجمع على ثقات في جماعة الرجال والنساء ، ووثقت فلانا إذا قلت أنه ثقة وأرض وثقة كثيرة العشب موثوق بها وهي مثل الوثيجة وهي دوينها ، وكلا موثق ، كثير موثوق به أن يكفى أهله عامهم ، وماء موثق كذلك[1]

وورد مادة وثق في القرآن الكريم والسنة المطهرة تحمل معنى الوثوق والثقة بالله ﷻ فقول الله تعالى { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى }[2]

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ص٣٧١

(٢) البقرة آيه : ٢٥٦

وقوله تعالى {ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد إستمسك بالعروة الوثقى}(١) وورد مادة وثق فى السنة المطهرة مثل قول النبى ﷺ (أنا لا أثق إلا برحمتك)(٢)

وقوله ﷺ فى حديث آخر " عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخله معه فى القصعة ثم قال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه(٣)

أن المؤمن الحقيقى يضع كل ثقته فى خالقه ، يتوكل على الله فى جميع شئون حياته توكلا على الله لا تواكلا ، فهو يأخذ بالأسباب والثقة الكاملة بالله تملأ قلبه فهو مطمئن على رزقة آمن على أجله لا يخاف الموت ، السكينة مسيطرة على حواسه وقلبه وعقله ، مهما تعرض الى الشدائد والأزمات فإن ثقته بالله ثابتة راسخة ، يعلم أن الله معه دائما ، هو منقذه وهو نصيره دائما ، إذا كلف بأمر وهذا الأمر لا يتعقله عقله فانه يمتثل الى أمر الله فينفذه وإذا نهى عن شيء وهذا النهى لا يتعقل فإنه أيضا يمتثل الى ما نهاه الله عنه ، ثقة بالله ، بعيدا عن الجدل والمناقشة ، التى تدخله فى المجهول ، التى يترتب عليها ؛ إغضاب الله

(١) لقمان آية ٢٢

(٢) الامام احمد بن حنبل :مسند الامام أحمد بن حنبل ج١ ص١٢٤ وج٥ ص١٩١،

(٣) الامام الترمذى صحيح الترمذى ، كتاب الاطعمة باب ماجاء فى الأكل مع المجذوم ج٤ /٢٦٦ (١٨١٧) وقيل هذا حديث غريب وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفة – ك الأطعمة – باب الاكل مع المجذوم ج٥/٥٦٨(٤)

منه ، وأيضا فى الأزمات والشدائد الحتمية التى يجزم العقل فيـــها أنــه واقع فى التهلكة ولا شك ، لكن الثقة بالله تثبت المؤمن وتجعله راســخا آمنا غير جذوع ولا يائس من رحمة الله وحتى فى إنعام الله على العبـاد بالملك والصحة والرزق الوفير ، فأن ذلك يحمل المؤمن على شـــكر الله ثقة بالله ، بأنه سبحانه وتعالى قد من عليه بتلك النعم ليبتليـــه فيشــكر ، ويختبره ، فيقترب من الله سبحانه وتعالى حتى فى الإخبار التى تلقـــى على المؤمن وتقع على سمعه لأول مرة فيرفضها العقــل لإســتحالتها ، ولتناقض منطقها ، إلا أن المؤمن يتذكر أن المخبر هو الله عــز رجـل وثقته بالله تحمله على أن يصدق ويسلم ويمتثل ، لله ولقضاءه مهما كـان مستحيلا ، غريبا مستبعدا ، العقل والمنطق يرفضها إلا أن الثقة تتغلـب على كل هاجز يشكك أو يحاول أن يشكك فالثقة بالله تحمل العبد المؤمـن على الأمل فى النجاة من كل مكروه مهما كان لأن الله بصير بالعبـــاد ، وهو أعلم بهم من غيرهم وأرفق بعباده من عباده ورحمة الله واســعة لا تحد ولا تنتهى "

الايمان والأمل متلازمين ، فالمؤمن أوسع الناس أملا ، وأكـــثرهم تفاؤلا واستبشارا ، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم الضجــر ، إذ الايمــان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء ، ولا تعجز عن شيء ، الاعتقادة بقوة غير محصورة ، ورحمة غير متناهية ، وكرم غير محدود ، الاعتقاد باله قدير رحيم ، يجب المضطر اذا دعاه ، ويعفـو عن السوء ، يمنح الجزيل ، ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة عن عبـادة ،

ويعفو عن السيئات ، اله هو أرحم بعباده من الوالدة بلودها ، وأبر بخلقه من أنفسهم ، الله يفرح بتوبة عبد أشد من فرحة الضال إذا وجد ، والغائب إذا وفد والظمآن إذا ورد . اله يجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف أو يزيد ، ويجزى السيئة بمثلهاأو يعفو اله يدعو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ، ويقول أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وأن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وأن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وأن أتانى يمشى أتيته هرولة ، اله يداول الأيمان بين الناس ، فيبدل من بعد الخوف أمنا ، ومن بعد الضعف قوة ، ويجعل من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، ومع كل عسر يسرا ،المؤمن الذى يعتصم بهذا الاله البر الرحيم ، العزيز الكريم ، الغفور الودود ، ذى العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، يعيش على أمل لا حد له ، ورجاء لا تنفصم عراه ، انه دائما متفائل ، ينظر الى الحياة بوجه ضاحك ، ويستقبل أحداثها بثغر باسم ، لا بوجه عبوس قمطرير [١]

فهو إذا تعرض الى عسر فأمله في يسر الله موجود قال تعالى {فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا }[٢]

واذا إقترف ذنبا أو خطيئة مهما كانت ثقلها فإن أمله بالله وثقته فيه تحمله على ترك باب التوبة والإستغفار والإنابة قال تعالى {قل ياعبادى

---

(١) يوسف لقرضاوى : الايمان والحياة مكتبة وهبة ص١٣٨

(٢) الشرح أيه ص٦

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، أنه هو الغفور الرحيم }(١)

وإذا مرض مرضا فانه يثق فى رحمة الله وقدرته بأن يخفف آلامه ويجعل تلك الآلام مكفرة لذنوبه ومساعده على ارتقاء درجاته عند الله ، وفوق كل ذلك يأمل فى الشفاء لأن الشافى هو الله سبحانه وتعالى { الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين }(٢)

وهو الذى إذا حلت به مصيبة من مصائب الدنيا مثل الخوف والجوع أو نقص الأموال والثمار أو الانفس لحتسب ذلك عند الله عز وجل ، فإستحق الصلاة من الله والهدى والرحمة قال تعالى {ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا أن لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}(٣)

وهو الذى إذا أدركته الشيخوخة ، وأشتعل رأسه شيبا ، لم ينقطع أمله بالله عز وجل وثقته فى رحمة الله بأن يرزقه بالولد ويجعل له إمتدادا وذكرى قال تعالى { هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء }(٤)

---

(١) الزمر ايه ٥٣

(٢) الشعراء : ايه ٧٨ - ٨٠

(٣) البقرة أيه ١٥٤- ١٥٦

(٤) ال عمران ٣٨

{ وأنى خفت الموالى من وراءى وكانت امرأتي عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقيوب واجعله رب رضيا }(١)

فهذه هى الثقة المتناهية بالله عز وجل تحمل الأمل فى رحمة الله عز وجل والرجاء فى فرجه والطمع فى قدرته التى يتعلق بها المؤمن متوكلا عليه لا متواكلا ، بأن ينصره ويرزقه ويشفيه ويفرج كروبه ويخرجه من شدائده ويلهمه الشكر عند النعم ، فهذا هو ثبات المؤمن وأمله وثقته بالله عز وجل ، لا كما تظن الوجودية بأن الغاء العقل فى مواقف الابتلاء يحمل العبد على القفز فى اللامعقول ، او بمعنى الالقاء فى الهاوية ، وكأن العبد يجازف ويخاطر ويراهن على عقله ، وهو وحظه ، مع هذا المجهول ، وكأن الإنسان هذا مغمور فى لفافة من اليأس والقنوط ، لكن العبد المؤمن ليس كذلك ، ومن الغريب أن الإنسان يذهب الى الطبيب يلتمس لديه العلاج ويضع ثقته الكاملة فى قدرات هذا الطبيب رغم أن علمه محدود متناهى إلا أن المريض يثق فيه ، ويمتثل لجميع أوامره رغم أن ورود الخطأ فيها وارد ، وأيضا يتجرع الدواء من الطبيب الصيدلي ثقة فيه وفى دوائه وفيما دله عليه رغم انه من الممكن أن يكون الدواء مؤلفا من سموم وعقاقير ، القدر منها مهلك لكن النسب من تلك السموم والعقاقير يظن أنه يشفى ، فالثقة العمياء فى المخلوقات دون الثقة فى رب المخلوقات تحمل المرء على التأمل والدهشة ، رغم

(١) مريم : ٥و٦

أن الأولى بالثقة هو صاحب العلم اللامتناهى صاحب القدرة اللامتناهية صاحب الرحمة اللامحدودة رغم ذلك نجد من يجادل أمرا من أوامره سبحانه وتعالى ، ونجد من يبرر ويناقش نهيا نهانا الله عن إقترافه محاولين تبرير تلك الأوامر وتلك النواهى وتلك الشدائد ، وتلك الأخبار الغريبة تبريرا مقنعا ، للعقول وأقرب منه للمنطق، حتى ولو كنا نقول ذلك ونحن نعلم أننا نخدع أنفسنا ، ونضحك على بعضنا البعض، بألفاظ وجمل تسكن هذا العقل ، وتساير منطقة ، ونسينا ان الثقة بالله هى أولى من كل ذلك وأنجى من كل جهودنا المضنية ، وبإذن الله سوف أضرب بعض الأمثلة التى تؤكد ذلك ان الثقة بالله عز جل هى أولى من القياس العقلى ، خصوصا فى مواقف الابتلاء والاختبار من الله عز وجل ،

أولا ،مواقف الإبتلاء المتعلقة بالتكليف (الأوامر والنواهي)

جعل الله سبحانه لكل أمة شرعة ومنهاجا أى جعل لهم سبلا وسننا يسيروا عليها طبقا لظروف أماكنهم وأزمانهم وقدراتهم البدنية ، وذلك لاختبارهم بالأمر والنهى قال تعالى {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ماء اتاكم}[1] أى أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوا أو عزموا عليه من ذلك كله}[2] وسوف نعرض بعضا من تلك الإختبارات التى تبين مدى ثقة هؤلاء بالله مستبعدين أعمال عقولهم لأنهم ، توكلوا على الله ووثقوا فيه سبحانه وتعالى

الموقف الأول

(أمر الله لإبراهيم عليه السلام بتركه لزوجه وولده عند المسجد الحرام)

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بأن يأتى بزوجه هاجر وولده إسماعيل الرضيع ويسكنهما بوادى غير ذى زرع ولا ماء يخلو من الحياة ،وهما ضعيفان لا يملكان شيئا سوى مزود به قليل من الطعام وسقاء به قليل من الماء ،فكان موقف إبراهيم عليه السلام أمام إختيارين إما أن يحكم عقله وما يحتويه من منطق يقول أن هذا الوادى يخلو من الحياة ، وكل وادى بهذا الوصف فهو مهلك ، إذا هذا الوادى مهلك لزوجه ولولده الذى رزقه الله

(١) المائدة : ٤٨

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ص٦٦

به في شيخوخته وهذا هو منطق العقل وإما أن يمتثل الى أمر الله واثقا في رحمته ،وأن ثقته بالله عز وجل ستحميهم مهما كان حكم العقل ومنطقه ، أنهما سيهلكان وهذا ما حدث بالفعل أن رجحت كفة ثقة إبراهيم في ربه بتصرفه مع زوجه "بعد أن ترك الديار وإستودعهما الله في هذا المكان ، وقفل راجعا ، فتبعته أم اسماعيل وتعلقت به ، وامسكت بثوبه ، وقبضت على زمام دابته ، وقالت يا إبراهيم ، الى أين تذهب ؟ ولمن تتركنا بهذا الوادي الموحش المقفر ؟

حاولت أن تستعطفه ، ولعلها أشارت الى ابنها تسترحمه بحقه ، وتتوسل إليه بفلذة كبده ، وترجو ألا يخلي بينها وبين الجوع القاتل ، والعطش المميت ، وقد تكون سألته ، من يحميها من سطو الذئاب ؟ ومن يمنعها من فتك الوحوش ؟ وكيف يحتموت من لفح الشمس ، وحرارة الجو ؟ رأسالت تحت قدميه العبرات الغزيرة ، وذرفت الدموع السخينة ، ترجو أن يصيخ الى استعاطفها ، ويستجيب الى ندائها ، ولكنه لم يستمع إلى قولها ، ولم تلن قناته لرجائها ، بل أبان لها ان ذلك أمر وتلك إشارته ، فلابد لها من الخضوع لحكمه ، والتسليم لأمره(١)

وكانت تقول له ، إلى من تلكنا فجعل لا يرد عليها شيئا ، فقالت آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم فقالت إذا لا يضيعنا(٢) وبذلك وضع إبراهيم عليه السلام ثقته بالله لاغيا منطق العقل الذي لو إتبعه لوقع في المحظور لكن الموقف

---

(١) محمد أحمد جاد المولى ، قصص القرآن ، مكتبة دار التراث ص٥٧

(٢) ابى اسحق النيسبوري ، قصص الأنبياء ، المسمى عرائس المجالس ، المكتبة الثقافية ، ص٧٣

هذا موقف إبتلاء وإختبار من الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام ، فنجح في هذا الاختبار بجداره ، وذهب يدعو الله عز وجل بموجب ثقته بالله سبحانه وتعالي قائلا {وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر لإمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير }(١) فطلب الأمن والأمان أولا ، ثم طلب الرزق لهما وهذا ترتيب منطقى للمحافظة على حياتهما ، وكان عليه السلام يدعو ربه يدعو ربه

{ وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا وأجبني وبنى أن نعبد الأصنام ، رب أنهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصاني فإنك غفور رحيم ، ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون }(٢) وبهذا تغلبت ثقة إبراهيم عليه السلام فى ربه على منطق عقله فى موقف اختباري متعلق بأمر من أوامر الله عز وجل ، فأوامر الله يجب ان تنفذ بصرف النظر عن منطقياتها او تعقلها ، لان الثقة بالله لها أبعاد لا يدركها الانسان لأن علم الله أكبر واحوط وفيه نجاة الإنسان ومصلحته

---

(١) البقرة أيه ١٢٦

(٢) ابراهيم : ٣٤-٣٦

الموقف الثانى

أمـــر الله إبراهيـــم عليه السلام بذبـــح ولـــده رزق إبراهيم عليه السلام فى شيخوخته باسماعيل عليه السلام عندما أصبح صبيا يافعا تقر عين إبراهيم به أمره بذبحه من خلال رؤية منامية ، (ورؤيا الأنبياء حق)[1] ففطن عليه السلام إلى أمر الله واصبح أمـــام إبراهيـم عليه السلام إختيارين أولهما إختيار مؤلم لكنه يساير منطق العقل حيث أن إبراهيم عليه السلام شيخا هرم قد بلغه الكبر وهو للولد أحوج من أى وقت مسبق ثـم أن إبراهيم وعده الله بتكثير ذريته فى حين أن ولده هذا ووحيده فى هـذا الوقت قبل مولد إسحاق يؤمر بذبحه ومنطق العقل يقـول هـذا ولـدى وحيدى فى شيخوختى ، وكل شيخوخة تخلو من الولد فهى ضيعفة متعبة إذا عدم وجود الولد متعب فهذا هو منطق العقل القاصر لكن إبراهيـم عليه السلام ابتلى قبل ذلك ونجح فى هذا الابتلاء فما كان منه إلا أن يختـار الطريق الآخر وهو وضع ثقته بالله التى ستكون عليه أرحم من منطـق عقله فقد إمتثل من قبل لأمر الله وتركهما ثقة بالله ، وإيمانا به ، وإطاعـة لأمره ، فجعل الله لهما من ضيقهما فرجا ومخرجا، ورزقهما من حيـث لا يحتسبان ، ثم يؤمر بذبح هذا الولد العزيز ، الذى هو بركه ووحيـده ، إن هذه لمحنة تنوء بها الجبال الراسيات ، ولكن العظائم كفؤها العظمـاء

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى الطبعة السلفية بالقاهرة ، ج١ ص٢٣٨-٢٣٩)

فعلى قدر إبراهيم ، وعلو منزلته ، وعلى مقدار ثبات يقينه ، وكمال إمانه يكون إبتلاؤه وإختباره .

استجاب لربه ، وامتثل لأمره ، وسارع الى طاعته ، وارتحل حتى لقى ابنه ، ولم يلبث أن ألقى اليه بتلك الرغبة التى تدك الجبال ، وتنزع القلوب من الصدور ، فقال ، يابنى ، إنى أرى فى المنام أنى أذبحك، فانظر ماذا ترى ؟[(١)]

قال تعالى : { فلما أسلما وتله للجبين }[(٢)]

قال الأستاذ سيد قطب : هنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا ، كانا قد أسلما ، كانا قد حققا الأمر والتكليف ، ولم يكن باقيا إلا أن يذبح إسماعيل ويسيل دمه وتزهق روحه ، وهذا أمر لا يعني شيئا فى ميزان الله بعدما وضع إبراهيم وإسماعيل فى الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما .

كان الابتلاء قد تم والامتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت ، وغاياته قد تحققت ولم يعد إلا الألم البدنى ، وإلا الدم المسفوح ، والجسد الذبيح والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد دمائهم وأجسادهم فى شىء ، ومتى خلصوا له وأستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا وقد حققوا التكليف وقد جاوزا الامتحان بنجاح[(٣)]

(١) قصص الانبياء : ص٦٠

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٠٤

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، ص١٢٦

وهكذا إنتصرت الثقة بالله ولأوامره على منطقية العقل ، الذى نظرته محدودة قاصرة والله سبحانه وتعالى يريدنا مستسلمين لأوامره ، ممتثلين غير مجادلين مهما كانت هذه الأوامر غير منطقية .

الموقف الثالث

أمر أم موسى بإلقاء رضيعها فى اليم

تعرضت أم موسى لموقف لا تحسد عليه ، وهو خوفها على رضيعها من أن يقتل بأيدى رجال فرعون حيث أنهم كانوا يذبحون الرضع الذكور عاما ويتركونهم عاما وكان موسى عليه السلام من مواليد عام الذبح ، فوقعت أمه فى حيرة من أمرها ، وهى إنقاذ حياة رضيعها بأى طريقة ، فأوحى اليها بأمر من قبل الله تعالى بأنها إذا خافت على رضيعها من الذبح فلتلقيه فى اليم ، وهنا يكون الموقف العصيب ، وإعمال العقل لا ينفذ ويتعارض مع أمر الله عز وجل ، فالعقل يقول أن هذا هو ماء نهر النيل ، وكل ماء نهر النيل مغرق ، إذا هذا ماء مغرق ، وهذا رضيعى لا يعرف العوم ، وكل ما هو كذلك فهو هالك ولا محالة ، فكيف أنقذه من موت محقق ومعروف وهو الذبح الى مصير مجهول ، يجزم العقل فيه بهلاكه وهو الغرق ، ولكن ثقة المؤمنين تتغلب على هواجز العقل ، وترجح كافة التوكل على الله عز وجل ، فأقدمت على أمر الله ثقة بالله وتوكلا على الله عز وجل فأنقذ رضيعها قال تعالى،{وأوحينا الى أم

موسى أن أرضيعه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين }[١]

وقال تعالى { إذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن أقذفيه في التابوت فإقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني }[٢]

الموقف الرابع

نهي آدم عليه السلام من أكله من أحد أشجار الجنة بأن لا يأكل

أسكن الله تعالى آدم عليه السلام وزوجه الجنة ، بعد أن أهبط منها أبليس وأخرجه منها ، وأباح لهما أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة بعينها ، فقد نهاهما أن يقربا ثمارها ، وزودهما سبحانه بتحذير شديد من عدوهما الشيطان الرجيم ، ولم يعترض آدم عليه السلام على هذا النهي ، وبهذه الشجرة بالذات ، ولم يثبت ألبته أي إعتراض منه ولا من زوجه على هذا النهي ، رغم أن هذا النهي غير منطقي عقلا لأن هذه الشجرة من شجر الجنة , وشجر الجنة كله أباح لهما أن يأكلا منه بدليل قوله تعالى (فكلا منها حيث شئتما) وأستثنى هذه الشجرة بالذات ، فلماذا هذه ؟ العقل يقول ذلك ، لكن الثقة بالله والتوكل عليه تلزم آدم

(١) سورة القصص : ٧

(٢) سورة طه أية رقم : ٣٨-٣٩

وزوجه بأن يمتثل إلى أمر الله ولا يأكلا من هذه الشجرة ولا يكون مثل عدوهما الذى أعمل عقله وأعترض على أمر وهذا ما سنبينه فى موضعه بإذن الله

ومن العجيب والغريب أن أبليس عندما ترك باب آدم عليه السلام فى الغواية بدأ بعقليهما وحاول الغواية بدءا بالعقل وبقياسه ومنطقه حيث قال لهما { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين }(١) (وقال فيما وسوس به لهما : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا منها إلا لأحد أمرين : إتقاء أن تكونا بالأكل منها ملكين أى كالملكين فيما أوتى الملائكة من الخصائص كالقوة وطول البقاء وعدم التأثر بفواعل الكون المؤلمة والمتعبة وغير ذلك ، أو أتقاء أن تكونا من الخالدين فى الجنة ، أو الذين لا يموتون البتة(٢) وبذلك نفذ أبليس الى آدم وزوجه من باب قياس العقل الذى أوقعهما فى المحذور ولكن وقوعهم لم يكن وراءه عزم وسبك إصرار بدليل قوله تعالى {ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما }(٣)

والشاهد مما سبق أن آدم عليه السلام وضع ثقته بالله عز وجل بعدم إعتراضه على النهى ، لكنه وقع فى المحذور وفى النهى نفسه بقياسه العقلى والمنطقى الذى نفذ اليه من خلال وسوسة أبليس له

---

(١) الاعراف أيه ٢٠

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج٨ ص٣٤٨

(٣) طه ١١٥

الموقف الخامس

نـــهى الله ســبحانه أتبــاع طــالوت بـــألا يشـربوا مــن النـــهر إختتبر الله أتباع طالوت بألا يطعموا ماء النهر إلا قليلا منه وهــذا كمــا ورد فى الآية الكريمة فى قوله تعالى { فلما فصل طالوت بالجنود قــال أن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منـــى إلا من إغترف غرفة بيده }(١) ٠

قال ابن عباس : هذا النهر هو نــهر الاردن وذهــب اليــه أكــثر المفسرين ، وهو المسمى بالشريعة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبى الله له إختبارا وإمتحانا ، أن من شرب من هذا النــهر فلا يصحابنى فى هذه الغزوة ، ولا يحصابنى إلا من لم يطعمه إلا غرفة بيده (٢)

وهذا النهى وهو الشرب من ماء النهر إذا قيس بالعقل فإن العقــل يقول أن الإنسان لا يحيى بدون الماء ، وتحريم شرب الماء مـــن هــذا النهر لا مبرر له ، فعدم الشرب من ماء النهر لا مبرر له ، لكن اللذيــن تخلوا عن هذا القياس العقلى قلة قليلة وثقوا فى الله عز وجــل ، وفــى نهيه سبحانه وتعالى عن الشرب من هذا النهر فإمتثلوا لهذا النهى ، غــير مجالدين ولا معاندين ، ولذلك قال الله سبحانه { فشربوا منــه إلا قليــلا

---

(١) البقرة : ٢٤٩

(٢) ابن كثير : قصص الانبياء ، مكتبة جمهورية مصر ص٤٨١

منهم }(١) وهؤلاء القلة اللذين وضعوا ثقتهم بالله عز وجل هم اللذين تابعوا طالوت فى الجهاد لأنهم توكلوا على الله ووضعوا ثقتهم بالله عز وجل ،متخلين عن قياسهم العقلى أمام موقف إختبارى من الله عز وجل •

الموقف السادس

نهى الله سبحانه تعالى عن الزنا فى قصة يوسف عليه السلام

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى المؤمنين عن الإقتراب من الزنا فالأنبياء أولى بهذا النهى لعصمتهم المطلقة من إقتراف الذنوب قال تعالى { ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا }(٢)

وقد تعرض نبى الله يوسف عليه السلام إلى موقف إبتلائى لا يحسد عليه وهو تحرش إمرأة العزيز به بعد أن غلقت الأبواب وأخلت البيت من العيون والخدم واستعدت وتهيأت لمواقعته ، قال تعالى {وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ..}(٣) المراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وهذب ، كأن المعنى ، خادعته عن نفسه ، أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرجه من يده ، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه ، وهو عبارة عن التحيل لمواقعته إياها ، { وغلقت الأبواب} وقيل أنهم كانوا سبعة (٤)

(١) البقرة ٢٤٩

(٢) الأسراء آيه : ٣٢

(٣) سورة يوسف أيه ٢٣

(٤) الزمخشرى : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٨٥)ج ٢ ص٣١٠

وهذا الموقف الإبتلائى يجزم العقل فيه ، أن مقدمات الخطيئة مهيئة ومؤكدة بنتيجة حتمية لا مهرب منها ، وهى الوقوع في الرزيلة والعياذ بالله ، لأن المقدمات كانت بينة واضحة وهى إمرأة ترغب في المواقعة وتتهيء بدافع الحب والرغبة الجنسية ، والمكان مهيئ وخالى من العيون ، الزمان مهيئ أيضا بإبعاد الزوج الغافل عن الزوجة الخائنة كل ذلك مقدمات عقلية تنتج وقوع خطيئة ، لكن ثقة العبد المؤمن بالله أكبر من هذه المقدمات ، ومن هذا القياس اللعين الذى ينتج خطيئة ورزيلة ، مثل الزنا ولذلك قال يوسف (معاذ الله) والإستغاثة بالله فى هذا الوقت بالذات مطلبة من نبى مثل يوسف عليه السلام ، بأن يلقى اليه طوق النجاة الذى ينقذه من رغبة بشرية مهلكة وهو مهما كان بشر له ميوله للجنس الآخر ، لكن بهذه الطريقة ،القذرة نهذا لا يليق بالأنبياء أو بالمؤمنين عامة ، فقد إستعاذ بالله ، مما تدعوه اليه ، وهذا إجتناب منه على أتم الوجوه وإشارة الى الى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه ، وماذاك إلا لأنه عليه السلام قد شاهده بما رآه الله تعالى من البرهان النير على ماهو عليه فى حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء(١)

وذلك من منطلق تعلق المؤمنين وبخاصة الأنبياء بطوق النجاة ، وهو الثقة بالله عز وجل ، بعيدا عن ملابسات المقدمات ، الجلية ، التى تنتج ، بالعقل نتائج ، يخشى منها لأنها أى هذه النتائج تغضب الله عز وجل وتوقع فى المهالك والأثام .

---

(١) أبو السعود : محمد بن محمد العمادى الحنفى ٩٨٢ هجرية تفسير أبى السعود ، مكتبة الرياض الحديثة ج٣ ص١٢٧

الموقف السابع

نهى المؤمنين عن صيد البر دون البحر

نهى الله المؤمنين أثناء إحرامهم فى الحج أو العمرة بعدم إصطياد الطير سواء الضعيف منه أو ما دون ذلك أو الصغير أو ما دون ذلك وهذا إختبار للمؤمنين ممن يمتثل أوامر الله ونواهيه ومن يجادل ويعارض قال إبن عباس ، ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى إحرامهم حتى لوشاؤا لتناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه وقال مجاهد (تناله أيديكم عنى صغار الصيد وفراخة (ورماحكم) يعنى كباره وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية فى عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تخشاهم فى رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرومون (ليعلم الله من يخافه بالغيب) يعنى أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم فى رحالهم ، يتمكنون من أخذه بالأيدى والرماح سرا وجهرا لتظهر طاعة من يطيع منهم فى سرع أو جهره (١)

ولأن أوامر الله ونواهيه من الواجب والمفروض ألا تناقش ، لأن الثقة بالله تحمل المؤمنين على الطاعة ، التى تحميهم وترمى بهم فى رضوان الله عز وجل طبقا لقول المؤمنين سمعنا وأطعنا ، لا كما قال المغضوب عليهم سمعنا وعصينا

(١) أبن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ص٩٨

ثانيا • مواقف الإبتلاء المتعلقة بالشدائد

كما سبق ذكره من مواقف الإبتلاء المتعلقة بالتكاليف ، وجدنا أن تلك المواقف ، كانت تعبر عن أفعال صرفة ، يقوم به صاحب الموقف ، من منطلق ثقته بالله عز وجل ، وثباته على الإيمان العميق فيما يأمره الله أو ينهاه به أو ينهاه عنه ، وهذه المواقف كان لا يتوقع من أصحابه ذكر كلمات وألفاظ تعبر عن هذه الثقة ، لأن فعلهم لأمر الله عز وجل أوقع من قولهم أنهم سيفعلوا ، وتركهم للنهى أوقع من قولهم أن سينتهوا ، وفى كلا الحالتين فعل ، لأن أمر الله يتطلب فعل ، ونهى الله ، يتطلب نهى وترك ، وترك الفعل فعل ، والخلاصة أن أفعالهم أوقع مما لو قالوا وتلفظوا •

أما فى هذه المواقف المستأنفة المتعلقة بالشدائد فإننا سنجد أصحاب تلك المواقف يعبرون بأقوال لفظية تعبر عما بداخلهم من مكنون الثقة بالله عز وجل ، رافضين البته ، أى قياس عقلى يحاول أن يحملهم على إنقاذهم ونجاتهم من تلك الموقف العصيبة التى ينأى بحملها البشر العادى ، وفى هذه المواقف الإبتلائية المتعلقة بالشدائد نجد أن وراءها تعلقات عديدة ، فإما أن يكون الإبتلاء بالخوف بصرف النظر عن مصدر هذا الخوف إن كان من خوف الموت أو خوف العدو ، إلى جانب الإبتلاء بالجوع ، ونحن نعلم أن الجوع والخوف من الغرائز البشرية التى تحمل الإنسان على التعلق بالحياة ، وكلا الإثنين لا يؤمنهما

إلا الله قال تعالى { الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف من خوف }[1]

وأيضا الإبتلاء يكون فى الشدائد بنقص من الأموال والأنفس والثمرات ، إما بالكوارث أو بالأمراض ، أو ماشابه ذلك وقد حدد الله سبحانه وتعالى ذلك من خلال قوله تعالى ،{ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين }[2] ومن خلال ذكر ألفاظ هذه الآية الكريمة ، سوف أذكر بعض المواقف الإبتلائية المتعلقة بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، مبينين أن أصحاب تلك المواقف تعلقت أنفسهم بالثقة بالله عز وجل ، لا بالقياس العقلى الذى لو تعلقوا به لما كان لمواقفهم قيمة يقتدى بها ، ويتعلم منها الآخرين ، وسقطوا والعياذ بالله فى هذا الإختبار الربانى .

(١) سورة قريش: ٤

(٢) البقرة آية ١٥٥

أولا الموقف الأول

الابتلاء بالخوف من الموت بالإحتراق

إبتلى خليل الله إبراهيم عليه السلام بقذفه فى النار بعد أن حكم من قومه ، وقام هو بتحطيم أصنامهم ومجادلتهم ، فتوصل به الحال الى هذا الموقف العصيب ، ووضع إبراهيم عليه السلام أمام عنصر من عناصر الكون ،وهو النار التى لها خاصية الإحراق لجميع المواد القابلة للإشتعال ، وجسد إبراهيم عليه السلام جسد بشر قابل للاشتعال مثله مثل غيره ممن حرق قبل ذلك ، والعقل يقول أن وضع إبراهيم عليه السلام ، فىهذه النار التى بالمواصفات التى وردت فى كتب التراث ، والتى أوقدوها فترة زمنية طويلة لدرجة أن الطير كان يمشى مسافات بعيدة من طيره ، هذه النار لابد وأن تحرق وتفنى جسد إبراهيم عليه السلام وعقل إبراهيم عليه السلام الذى جادل قومه مرتين أثناء وقوفه أمام النجوم والقمر والشمس ، ، وأيضا وقوفه أمام أصنامهم ، وحاجهم ، وأفحمهم ، فضلا ، عن محاجته ، للنمرود ، كذلك كان بهذا العقل وبأقيسته المنطقية ، فهل يتخلى إبراهيم عليه السلام عن الإستعانة بهذا العقل ، ويطلب بهذا العقل الغوث ، بالله عز وجل وبجنوده ، حتى ينقذوه من أمر يحكم العقل فيه ، أنه هالك ولا محالة ، ولكن إبراهيم عليه السلام فى هذا الموقف الإبتلائى ، يعلم ويجزم ، أن هذا العقل لن ينقذه ولكن الذى يستنقذه هو ثقته بالله عز وجل وإحتسابه لأمر الله وهو الذى سبحانه وتعالى ، سيدبر ، نجاته ، وهذا ما